ما هو مشروعك

في الحياة

فإن الحياة فرص؟

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخنا أبو عمار محمد بن عبد الله با موسى، حفظه الله[1] في كتابه الماتع النافع (الحياة فرص) (ص:٢٢٩-٢٣٦):

ما هو مشروعك في الحياة؛ فإن الحياة فرص؟

قل لي: ما هو مشروعك في الحياة؟ أقل لك: من أنت!

تأملتُ كثيرًا في سِيَرِ العظماء والناجحين من هذه الأمة، وقلَّبتُ فكري في صفحات التاريخ كثيرًا في تلمس سِر نبوغهم وسبب تفوقهم.

فخلصتُ إلى نتيجةٍ مذهلةٍ فَحْواها: أن **من أراد السطوع فليستغل الفرص وليكن لديه مشروع!!**

فطريقُ المجد يا صاحِ يبدأ بمشروعٍ ترسمه بـ(بنان) همتك، وتشق دروبه بـ(سنانِ) عزيمتك، وتغتنم كل فرصة سانحة لك، فالوصول إلى ألف ميل يبدأ بخطوة، والسيل يبدأ بقطرة.

إن الميلادَ الحقيقي للإنسان - كما يقول أحد النجباء - ليس تلك اللحظة التي يخرجُ صارخًا إلى الدنيا من رحم أمه..

كلّا وألف كلّا، بل يولد الإنسان في اللحظةِ التي يعثرُ فيها على مشروع يرفعه الله

---

(١) القائم على دار الحديث ومركز السلام العلمي للعلوم الشرعية، الحديدة - اليمن، عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه وجميع المسلمين.

تنبيه: قال فضيلة الشيخ الدكتور المحدِّث وصي الله بن محمد عباس، حفظه الله، المدرس في الحرم المكي وجامعة أم القرى: «ينبغي أن يستفيد من هذا الكتاب "الحياة فرص": العلماء وطلاب العلم والعامة».

انظر: مقدمة الشيخ وصي الله لكتاب "الحياة فرص" في موقع الشيخ محمد بن عبد الله با موسى، حفظه الله.

به في الدنيا والآخرة.

بعدها ينطلقُ في خوضِ خطيرات الأمور، ويركب ظهورَ العوائق، ويتخطى رقابَ الموانع ويهتبل كل فرصة من أجل إتمام مشروعه وتحقيق طموحه، وإن هذا لَعَمْرُ الله هو عينُ المجدِ وقمةُ النبوغ.

واعلم يا صاحبي: أنك إن لم تزدْ على الدنيا شيئًا تنفع به نفسك، وتنفع به أمتك، فأنت شخصًا زائدًا عليها، وإن لم تضفْ في الوجود جديدًا فأنت ضيف ثقيل فيها!!

إن مشروعك يا أخي يبدأُ من أحلامك التي تعيشها اليوم، لتكتبَ واقعك غدًا في طيّاتِ الأيام مع الناجحين، والنابغين، والعلماء، والمصلحين، وحسن أولئك رفيقًا.

إن عمرك الحقيقي ليس تلك الساعات والأيام التي قضيتها في تتبع لذات الطعام والشراب، أو أفنيتها في التمتع بشهواتِ اللعب، وإغراءاتِ اللهو ولم تستغل فرص الحياة.

لا، بل إن حياتك الحقيقية بحجم الأحداث والمشاريع التي تتركها في الأرض في حياتك وبعد موتك.

واعلم – رحمك الله – أن أكبر المشاريع هي مشاريع الأنبياء والمرسلين، فقد جاؤوا بمشروع ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، فمشروع جميع الأنبياء والمرسلين دعوة الناس إلى توحيد رب العالمين، وإصلاح الدنيا والدين على صراط مستقيم.

ثم مشاريع العلماء والدعاة الصادقين الصالحين المصلحين فهم ورثة الأنبياء، فمشاريعهم هي مشاريع الأنبياء والمرسلين، دعوة الناس إلى توحيد رب العالمين وإصلاح الدنيا والدين على صراط مستقيم.

ومن هؤلاء العلماء:

- **الصحابي الجليل أُبَي بن كعب ﷺ، كان من أهم مشاريعه في الحياة: حفظ**

وضبط كتاب الله، فلم يزل عاكفًا على مشروعه، غارقًا في تفاصيله، يستغل كل **فرصة**، حتى بلغ المنزلة التي قال له رسول الله ﷺ فيها: «**لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ**» **رواه مسلم**[1](١).

- **وكان مشروع أبي هريرة رضي الله عنه حفظ سنة رسول الله ﷺ**، فصار ذاكرة الحديث، وراوية الإسلام، والحافظ الأول للسُّنَّة بلا منازع، وذلك لأن أبا هريرة رضي الله عنه استغلّ فرصة فراغه وقوة حفظه ودعاء النبي ﷺ له فلازمه ملازمة تامة.

- **وكان مشروع عائشة بنت الصديق رضي الله عنها العلم**، حتى قال الذهبي رحمه الله: «ولا أعلم في أمة محمد ﷺ من النساء، بل ولا في النساء مطلقًا امرأة أعلم منها»[2](١).

- **وكان من أهم مشاريع حسان بن ثابت رضي الله عنه نصرة الإسلام والعقيدة بالشعر**، حتى قال له النبي ﷺ: «**أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**» **متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه**[3](٢).

- **وكان مشروع خالد بن الوليد رضي الله عنه تأديب الكفار بالصّارم البتّار**، فما ترك **فرصة** إلا واستغلها في نصرة الإسلام وتحطيم الأوثان، حتى قلّده النبي ﷺ هذا الوسام على صدره فقال: «**خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ، سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ**» «**صحيح**» **رواه الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه**[4](٣).

- **وكان من أهم مشاريع عثمان بن عفان رضي الله عنه إنفاق ماله في سبيل الله ليلًا ونهارًا، سرًّا وجهارًا، كالسيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار**، حتى قال ﷺ معجبًا به وببذله وإنفاقه رضي الله عنه: «**مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ**» مرَّتَيْنِ. «**حسن**» **رواه أحمد والترمذي**[5](٤).

---

(١) مسلم (٨١٠).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٤٠).

(٣) البخاري (٣٢١٢)، ومسلم (٢٤٨٥).

(٤) «سنن الترمذي» (٣٨٤٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٠٢١)، و«صحيح الجامع» (٦٧٧٦)، وشيخنا مقبل في «الصحيح المسند» (٥٦٢).

(٥) أحمد في «فضائل الصحابة» (٨٤٦)، و«سنن الترمذي» (٣٧٠١)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح

• **وكان أهم مشروع عند الإمام البخاري** رَحِمَهُ اللَّهُ **في حياته تصنيف كتابه «صحيح البخاري»**، مكث (ستة عشر) عامًا لإنجازه، لا يدع لحظة ولا فرصة إلا كتب فيها، حتى أصبح كتابه أصح كتابٍ بعد كتاب الله. **قال الإمام البخاري** رَحِمَهُ اللَّهُ: «صَنَّفْتُ كتابي الصحيح لست عشرة سنة خرجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى»[١](١).

• **وكان أهم مشاريع ابن حجر العسقلاني** رَحِمَهُ اللَّهُ **تأليفُ كتابٍ في شرح صحيح البخاري**، فاستغرقَ (خمسة وعشرين) سنة لإتمامه[٢](٢)، كان يصنع الفرص لنفسه حتى أنهى هذا المشروع العظيم سماه «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، الذي **قال عنه الإمام الشوكاني** رَحِمَهُ اللَّهُ **لما طُلب منه أن يشرح صحيح البخاري، قال قولته المشهورة**: «لا هجرةَ بعد الفتح»[٣](٣).

وهناك كتاب آخر للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا وهو «الإصابة في تمييز الصحابة»، مكث في تأليفه (أربعين) سنة.

قال شعيب الأرناؤوط رَحِمَهُ اللَّهُ **في تحقيقه على «العواصم من القواصم»**[٤](٤): «وقد ألَّف الحافظ ابن حجر كتابًا سماه «الإصابة في تمييز الصحابة» وهو جامع لما تفرق في الكتب التي أُلِّفت قبله مع تحقيق وإضافات كثيرة لم ترد عند غيره، وقد استغرق في تأليفه أربعين سنة، ولكنه لم يكمل...».

• **وكان مشروع الإمام ابن قدامة** رَحِمَهُ اللَّهُ **تقريب الفقه للفقيه والمتفقه، لم يدع**

سنن الترمذي» (٢٩٢٠)، و«مشكاة المصابيح» (٦٠٧٣)، واحتج به شيخنا مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ في «المصارعة» (٢١٢).

(١) «مقدمة الفتح» (٤٩٠)، «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٤٠٥)، «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٧٦)، «تاريخ بغداد» (٢/ ١٤)، «وفيات الأعيان» (٤/ ١٩٠)، «تهذيب الكمال» (١١٧٠).

(٢) «الجواهر والدرر» للسخاوي (٢/ ٦٧٥).

(٣) «الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني» (٣/ ١٥١٧).

(٤) «العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم» لابن الوزير، تحقيق شعيب الأرناؤوط رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ٤١١).

فرصة في حياته إلا استغلها من أجل هذا المشروع الضخم، فَصَنَّفَ كُتُبًا مازالت إلى يومنا هذا موردًا عذبًا للطالبين كالعمدة، والمُقْنِع، والكافي، وما المغني عنكم ببعيد (١٥) مجلدًا[١](٥).

• **وكان مشروعُ صيرفي الحديث في عصره الإمام الرباني محمد ناصر الدين الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ **تقريب السنة بين يدي الأمة**، لقد كان آية في استغلال الفرص، فأثمر تصانيف بديعة في الحديث والسُّنَّة زادت عن (١١٣) كتابًا ما بين تأليف وتحقيق وتعليق وتخريج.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ[٢](١): «...إنّي أسألُ اللهَ سبحانه وتعالى أن يُعينَني على إتمام ما أقدرُ عليه من مشروعي القديم «تَقْريب السُّنَّة بين يَدَي الأُمّة» الذي أفنيتُ فيه شَبَابي، وقضيتُ فيه كهولَتي، وأُتَمِّم به - الآن - شيخوختي».

• **وكان مشروع الإمام العلامة شيخ الإسلام ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ **أنه أوقف نفسه لخدمة الدين**، وخدمة جميع المسلمين في كل ساعة وحين، وله قصص في خدمة الدين وخدمة المسلمين أغرب من الخيال، إنه أُمَّة في رَجُل، **كان له مشروع في** علم الحديث وبقية العلوم، ومشروع في العبادة، ومشروع في الإفتاء، ومشروع في قضاء حوائج الناس، لأنه يمكن للإنسان أن يكون له أكثر من مشروع في حياته، **فهذا عبد الله بن المبارك كان له مشروع في العلم**، ومشروع في الجهاد، ومشروع في الصدقة، ومشروع في العبادة، **وابن تيمية**

---

(١) للاستزادة انظر «المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد» للشيخ بكر أبو زيد (٢/ ٧١٩).

(٢) «السلسلة الصحيحة» (٦/ ٨).

فائدة: وللعلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ قصة لطيفة تُعْرَف بقصة «الورقة الضائعة» وكيف استغل الفترة التي حددها له الطبيب بعدم القراءة في الكتب لمدة ستة أشهر، وذلك لوجع في عينيه، فاستغل هذه المدة وكانت السبب لموسوعته العلمية «تقريب السنة بين يدي الأمة»، وكان نتيجة هذه الفرصة هي أن جمع أربعين مجلدًا (هي فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية)، ومن هذه المجلدات استقى مؤلفاته...

القصة ذات شجون ذَكَرَها بطولها في مقدمة كتابه «فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية» (ص:٨-١٥) انظرها إن شئت.

رَحِمَهُ ٱللَّهُ **كان له مشروع في العلم، ومشروع في الجهاد، ومشروع في العبادة،** ومشروع في الزهد، ومشروع في الرد على الفرق المخالفة.

• **وكان مشروعُ العلامة المتفنن ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تدريس العلم الشرعي للعامة والخاصة،** فأعرضَ عن المناصب، وأشاح عن الدنيا وجهه، وبقي يُدَرِّس في مسجده بعنيزة أكثر من خمسين سنة متتالية، لا يدع فرصة إلا استغلها في نشر الخير للغير حتى بلغت دروسه المسجلة له أكثر من (٥٠٠٠) ساعة عدا الدروس التي لم تُسَجَّل، وهي كثيرة وكثيرة جدًّا، وبلغت مؤلفاته أكثر من تسعين كتابًا ورسالة[١](١).

• **وكان للشيخ العلامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ مشاريع كثيرة، وتصانيف وفيرة،** منها المشروع الذي نص عليه وهو كتاب: «التأصيل لأصول التخريج وقواعد الجرح والتعديل»، طبع منه الجزء الأول، فقد قال عنه: «أما بعد: فهذا كتابٌ أُراه من مشاريع العُمر سميته «التأصيل لأصول التخريج وقواعد الجرح والتعديل».

• **وكان مشروعُ الشيخ عبد الرحمن السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ الدعوة إلى الله في أفريقيا،** فأسلمَ على يده (١١) مليونًا، بعد أن قضى (٢٩) سنة ينشر الإسلام في القارة السوداء[٢](٢).

قال ﷺ: «...**فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**» متفق عليه عن سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٣](٣).

وقال ﷺ: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا...**» رواه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٤](٤).

---

(١) «الجامع لحياة الشيخ» (ص:١٥٤)، و«ابن عثيمين الإمام الزاهد»، و«صفحات مشرقة في حياة الشيخ محمد ابن عثيمين».

(٢) «الموسوعة العالمية الحرة».

(٣) البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٤) مسلم (٢٦٧٤).

ختامًا قد يقول قائل: إنَّ أصحاب هذه المشاريع تجار وعلماء، فماهي مشاريع مَنْ دُونَهُم؟

قلت: هناك مشاريع عظيمة لا تحتاج لكثير علم ولا لكثير مال، وقد قال ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا...**» رواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه[1](١).

من هذه المشاريع العظيمة: تعليم أبناء المسلمين الفاتحة في المسجد أو المدرسة أو في البيت عن طريق الأبوين أو في أي مكان، فهذا مشروع ضخم، وأرباحه كبيرة، ورأس المال يسير، يستطيعه الكثير والكثير من الناس، والموفق من وفقه الله.

فقد بوَّب الإمام البخاري رحمه الله: **باب تعليم الصبيان القرآن.**

وقال ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» رواه البخاري عن عثمان رضي الله عنه[2](٢).

وقد اشتهر عن جمع من السلف الصالح تعليمهم القرآن الكريم للصبيان، منهم: أبو منصور الخياط الزاهد المقرئ (ت ٤٩٩هـ)، اختار هذا المشروع وهو التفرغ لتعليم الصبيان سورة الفاتحة.

قال السمعاني رحمه الله: «رأوه بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بتعليمي الصبيان فاتحة الكتاب»[3](٣).

الله أكبر، والله إن هذه **الفرصة** يغفل عنها جمهور الدعاة والمعلِّمين إلا من رحم الله، فهذا الطفل الذي حفظ الفاتحة على يديك كم لك من الأجور كلما صلّى الفرائض والنوافل، وقد يُعَمَّر هذا الإنسان أعوامًا عديدة وأزمنة مديدة، وقد يُعَلِّم هو أيضًا أمّة من الناس الفاتحة والأجر يصل إليك، فيا الله لا تحرمنا فضلك.

ومن المشاريع الضخمة: مشروع الأم في تربية أبنائها، فإن المرأة الصالحة من أهم

---

(١) مسلم (٢٦٢٦).

(٢) البخاري (٥٠٢٧).

(٣) «معرفة القراء الكبار» (٢٥٦)، «غاية النهاية» (٢/ ٥٧)، «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٢٢٤).

مشاريعها تربية أبنائها التربية الإسلامية الصحيحة، فهو شغلها الشاغل في الليل والنهار، لا تدع فرصة في صلاح أبنائها إلا استغلتها، وقد أحسن من قال:

الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعْدَدْتَهَا أَعْدَدْتَ شَعْبًا طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ

وقبل ذلك قوله ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا...**» متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما[1](٢).

❊❊❊

(١) البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).